حول تيسير القواعد العربية

للآنسة أمينة شاكر فهمى

سيدى الأستاذ صاحب « الرسالة » :

تحية وسلاماً . أما بعد فلقد تتبعت بشغف واهتمام مقالات الأستاذ الفاضل « أزهرى » عن تيسير قواعد الاعراب إلى أن تم بحثه من عملية التيسير والتغيير ، فدهشت جداً لما جاء فى مقاله الأخير من تطبيق ؛ وما كنت أظن أن موجة التبديل والتحوير تطفو يوماً على اللغة وتمسخها بهذا الشكل الذى ينكره كل مخلص للعربية . فمهما فشت عملية التمدين والتقليد فلا ينبغى أن تمس اللغة التى هى فوق كل المشكلات الاجتماعية والحزبية والعلمية أيضاً . إن لدينا مشاكل عدة أحوج إلى الاصلاح والتيسير من لغتنا المقدسة

نعم إننا نعيش فى عصر السرعة التى وفدت إلينا من أمريكا، ولكن غريب أن تلقى السرعة على قواعد اللغة والاعراب فنختصره بهذه الصورة المدهشة التى يقدمها الأستاذ أزهرى فى بحثه الأخير . فقد اختصر الإعراب وحذف منه حتى كدت لا أتعرفه ، وخيل إلى أننى أقرأ لغة أجنبية

غريب أن يتأثر الأزهريون بحياة السرعة الأجنبية فيستعملوها حتى فى اللغة وهم حماتها من كل اعتداء . وإنى أرجو سيدى الفاضل صاحب (الرسالة) أن يأذن لى بنشر ملحوظتى هذى ربما كان بها شىء من الصحة

لست أدرى سبباً لكل هذه الضجة الهائلة على قواعد الاعراب واللغة ومحاولة تيسيرها، وليست اللغة بحاجة إلى تيسير ، وإنما التيسير لازم للأسلوب الذى تلقن به اللغة للنشء والكيفية التى تقدم بها إلى التلاميذ . فلا داعى لأن تقوم جماعة الأدب الرسمى بابدال وتغيير وتحوير وحذف هو أقرب إلى التعقيد منه إلى التيسير ، فتضيع معانى الجمل، ويستحيل على التلميذ تفهمها إلا إذا حفظها حفظاً . والاعراب لا يحفظ ، بل هو تحليل معنوى للجمل والكلمات . وكأن اللغة لم يكفها ما نالها من جماعة الأدب الرسمى حتى جاءت الآنسة ابنة الشاطئ تملأ صفحات الأهرام بدفاع عن كل ما تجريه الجامعة من تغيير فى اللغة سواء أكان ذلك حقاً أم باطلاً . وفى رأيى أن الفلاح وقضيته أحوج إلى دفاع الآنسة الفاضلة من اللغة

وأخيراً جاء الأستاذ الفاضل « أزهرى » يبحث فى تيسير قواعد الاعراب ويتحفنا بدراسات تكاد تكون قيمة لو لم يناقض نفسه بنفسه ويزيد فى تعقيد الاعراب ، ثم يأتى بتطبيق غريب لا يتفق وقواعد اللغة . فكيف نعلم التلميذ إعراباً مخالفاً لما حفظناه من قواعد ؟ وهل نغير كل قواعد اللغة كى تطابق الاعراب الحديث ؟

يقول الأستاذ فى مقاله الرابع : « إن الحرف لا حظ له من الاعراب أصلا » . ثم يعرب (فى ، ومن ، والباء) بأنها حروف جر مجزومة بالسكون أو مجرورة بالكسرة . ولفظة مجرور ومجزوم لا تستعمل إلا للألفاظ المعربة . والحروف كلها مبنية ، فكيف نعلم التلميذ أن الحروف كلها مبنية ثم نقول له إن (فى) حرف ولكنه حرف مجزوم ؟ ! ثم ما هى العوامل التى جزمت أو جرت (فى ، ومن ، والباء ؟) هل سبقت بحرف جر أو جزم ؟ أم كان موقعها فى الجملة دافعاً لجرها وجزمها ، مع العلم أن حروف الجر لا محل لها من الاعراب ؟!

فكيف يتيسر للطالب فهم هذه المتناقضات ؟ وما المانع من أن نلقنه إعراباً مطابقاً لما جاء فى كتب القواعد — من أن الحروف كلها مبنية ، وأن (فى) حرف جر مبنى على السكون — كى تطبق القاعدة على الاعراب ؟ وإلا وجب أن نغير القاعدة فنقول إن الحروف معربة وإنها تجزم وتجر وتنصب وترفع حسب موقعها فى الجملة وما يتقدمها من عوامل ؟ ! وفى هذا من الشذوذ والاضطراب ما لا حد له

يقول حضرة الأستاذ فى التطبيق الأول :

ألا إن قلبى لدى الظاعنين حزين فمن ذا يعزى الحزينا ؟

(قلبى) مبتدأ منصوب . وباب المرفوع فى كتاب النحو يثبت أن المرفوع من الأسماء المبتدا والخبر واسم كان وخبر

إن ... الخ . فكيف يفهم الناشيء وقد حفَّظناه أن المبتدأ دائماً مرفوع — ثم نعلمه إعراب مبتدأ منصوب ؟ فمتى يكون المبتدأ منصوباً ومتى يكون مرفوعاً ؟ وهل نترك التلميذ المسكين يتخبط في هذه الظلمات أم نخترع له قاعدة جديدة تفهمه الحالات التي يكون المبتدأ فيها مرفوعاً أو منصوباً، وربما يكون مجروراً أيضاً؟ ثم نحذف القاعدة العتيقة التي تنص على أن المبتدأ يجب دائماً أن يكون مرفوعاً ونستبدل بها قاعدة (مودرن) . وما الدافع يا ترى — وقد غرسنا في أذهان الطلبة أن إن وأخواتها تنصب الاسم — أن نحذف هذه القاعدة . فبدل أن نعلمهم إعراب (قلبي) إسم إن منصوب لأن القاعدة تنص على أن اسم إن وأخواتها دائماً منصوب — إذ بنا نقول إنه مبتدأ منصوب وقد حفظ التلميذ أن لفظة (مبتدأ) لا يليها إلا كلمة (مرفوع) ولفظة (إسم إن) لا يليها إلا كلمة (منصوب) ؟ !

وليسمح لي سيدي الأستاذ الفاضل أن أقول إنه أسرف في اختصار الاعراب إلى درجة التشويه والتعقيد . فان هذا الاختصار لا ييسر الاعراب بل يزيد في اضطراب التلميذ وتعقيد المعنى عليه. ففي اختصار إعراب «إن» وحذف ذكر عملها ينسى التلميذ أن الاسم الذي يليها يجب أن يكون منصوباً . ولا بد أن يستفيد التلميذ من تكرار ذكر هذه القواعد أثناء الاعراب فترسخ في ذهنه . وفي الاعادة إفادة .

ثم ما رأي الأستاذ في الضمائر ؟ هل من رأيه أن نحذف لفظة « ضمير » من اللغة ؟ فما باله يختصر إعراب الياء في (قلبي)؟ فهل يرهق التلميذ أن يقول ياء المتكلم ضمير متصل — لأن في اللغة ضمائر منفصلة — مبني على السكون — لأن كل الضمائر مبنية — في محل ... فيطبق ما حفظ من قواعد على الاعراب .

أما (الظاعنين) فيجب على التلميذ أن يذكر أن علامة الجر هي الياء لأنه جمع مذكر سالم، إذ من الضروري تعليل كل حركة كي يطبق القاعدة على الاعراب وتثبت في ذهنه . أما إن اقتصر على أن (الظاعنين) مجرور بالياء فربما استغلق عليه المعنى وظن أن كل ياء علامة جر . وليس بمستبعد أن يظن أن ياء (غَنِيَّ) علامة جر . وأذكر مرة إعراب تلميذ كلمة (لسان) إذ قال اللام حرف جر وسان مجرور باللام !

ويترك الأستاذ النون معلقة في الهواء . فكيف تنتظر أن يبرأ التلميذ شيئاً عنها ؟ ثم نشكو اللغة وصعوبتها ونعيب ما بها من تعقيد .

وأخشى أن تضيق صفحات الرسالة عن التحدث عن باقي التطبيق . وأكتفي بذكر فعل (ساد) في التطبيق الثاني للأستاذ « أزهري » إذ يقول إنه فعل ماض منصوب . والفعل الماضي دائماً مبني ولفظة منصوب لا تطلق إلا على المعرب من الأفعال وغيرها . فما هو الضرر من القول إنه فعل ماض مبني على الفتح ؟

فان كان قصد حضرات علماء اللغة من تيسير القواعد والاعراب هو اختصار الاعراب فاني أرى هذا الاختصار يزيد في ارتباك التلميذ . وأؤكد هذا بعد تجارب عدة قمت بها في تدريس القواعد والاعراب سنين عدة . ولقد نجحت في تدريس القواعد والاعراب بالتطويل وتعليل وتحليل كل حركة وكل شاذة عن القاعدة . وكانت حصة القواعد أقرب إلى حصة إثبات وتعليل وبحث وتطبيق منها إلى حصة دروس نحوية جافة .

إن ضعف الطلبة في اللغة العربية لم ينتج عن عيب في اللغة أو تعقيدها، بل ليسمح لي حضرات علماء اللغة أن أصرح أنه ناتج عن فساد طريقة التعليم، وأن مدرسي اللغة أحق بالعناية والتيسير من اللغة . ولله در من قال :

نعيب زماننا والعيب فينا ...

وإني واثقة أنه لو وجه حضرات المشتغلين بالتيسير اهتمامهم إلى مدرسي اللغة في كل المدارس وحاولوا أن تكون طريقة إلقاء الدروس النحوية والتطبيق على أسلوب التحليل والتعليل بسهولة وسلاسة لزال كل ما يشكو منه الطلبة من صعوبات وسلمت اللغة من خطى عملية التيسير .

وخير لنا ألا نستعمل السرعة الامريكية في تغيير قواعد اللغة والاعراب ، فان هذا عمل أخطر من أن يتم في هذه المدة الوجيزة وبهذه السرعة .

فنحن مسئولون أمام العالم الشرقي كله عن كل حرف يحذف أو يضاف إلى اللغة، وعن كل تغيير في كتب القواعد التي ثبتت أجيالاً مضت ولم تثبت بعد خطأها ولم نأت بأحسن منها .

أمينة شاكر فهمي